

مات ابنه ومدينته فانطفأ رواية بيروت وغادر حزنه وهدوءه في لحظة واحدة محمد عيتاني حكاية رجل حزبه في قلبه وقصته على لسانه(صورة)

المؤلف: باشا عبيدو
التاريخ: 18-03-1999
رقم العدد:8251

مات ابنه ومدينته فانطفأ راوية بيروت وغادر حزنه وهدوءه في لحظة واحدة محمد عيتاني حكاية رجل حزبه في قلبه وقصته على لسانه ****** 11 عاما على غياب القاص والروائي محمد عيتاني. قلة نادرة تذكرته في السنوات الاخيرة. يوم وفاته 19 آذار 1988. هنا مقالة تحية. لم يكن محمد عيتاني اصلاحيا. ولم يكن ثوريا. أخذته صور عديدة، في طفولته وشبابه وشيخوخته، التي انقصفت في لحظة دراماتيكية بحياة لبنان. حاول الفتى الصغير بالدرجة الاولى ان يعطي نفسه حق الممارسة. ممارسة حياة بطولها وعرضها، في اختبارات أدت في غالب الاحيان الى نكوص. هذا موضوع آخر. فأن تجرب، هو ان تستولي على حياتك بالطريقة التي تراها مناسبة. بيد ان شابا بيروتيا، عاصر النقلة الكبرى بين مرحلة بيروت الفلاحة وبيروت المتعددة، حاصرته الجروح العميقة. جرح الاقامة وجرح الانتقال وجرح المعيش وجرح الانتصار على الخيارات وجرح سقوط الخيارات نفسها. لم يكن محمد عيتاني إصلاحيا. ولم يكن ثوريا. بقي محمد عيتاني هو محمد عيتاني، حتى في أشد اللحظات توهجا على صعيد علاقته بالماركسية. ذلك ان المعادلة بقيت بسيطة بساطة اهالي بيروت القديمة: سني بيروتي وشيوعي. معادلة بسيطة ومحكومة بالتصورات السلفية. فالماركسي لا يقيم اي اعتبار للروابط العائلية. بمستطاعه ان يتخطاها بسهولة. فكرة سبقت تنفيذ الماركسية في بيروت، ولو ان ثمة لبنانيين دقوا أجراس الكنائس يوم موت ستالين. بيد ان محمد عيتاني المربوع القامة،

الضاحك في طلة خاصة، كسر الأعراف البيروتية في العلاقة بالماركسية، او بالشيوعية بكلام آخر. فهو أسروي بامتياز. عاطفي بتفوق. يبكي امام مصاب الآخرين، ويمكن قياس علاقته بأهله وعائلته من هذا المنظور او هذه الزاوية بالذات. والد حسن وحسام وفداء وصبية تعمل في مجال المختبرات الطبية، بنى للعائلة مساحة من الحرية الواسعة. تأسلموا في أوقات المراهقة، ولم يأبه. وحين عادوا الى الماركسية، لم يأبه ايضا. هذا ليس دورا قيضه لنفسه، بل هي مرآة النفس في انعكاساتها اليومية التي لا تقع بين لونين او بين ليل ونهار. إذ تقع موقعها الواحد، موقعها الحياتي الذي لا يتغير تحت اي ظرف او فجأة او وطأة. كفاءة حياتية عالية؟ العكس، جرفٌ من العواطف والاحاسيس التي حاولت على الأرجح، مداراة حضورها، بنوع من اللامبالاة المكشوفة. فمن يتزوج ومن يؤلف عائلة ومن ينضوي في الشيوعية. في الازمنة البكر للشيوعية، هو شخص يبالي كثيرا، ويقترح خيارات ويذهب فيها وإليها، ولو بمزاجه الخاص وأفكاره الخاصة. بقي مستقلا في الحزب لأنه لم يطمح الى موقع. وبقي مستقلا في العائلة لأنه لم يرد ان يؤسس عائلة يسوسها على ما يقول العرب او يريدون. أنجز ما توجب عليه إنجازه في فترة قصيرة، ثم هام في ما أنجزه. وأصبح وأمسى وهو يرفض الصور التقليدية او الفارغة المتداولة للموظف التام. لم يصل الى شباك مصرف ولم يتوقع ان يتحول الى مندوب مشتريات. او ان يوقع الشيكات في أوقات محددة وان يصرفها في اوقات اخرى. او ان يتفرغ ليلا لمتابعة العمل الفني والأدبي ومقابلة الصحافيين. نسج علاقات طيبة، من طرحه حضوره كمفردة مساعدة، من دون ان ينتظر مساعدة أحد. هذا في أيامه الصحوة ولياليه العادية. اما في الأيام الاخيرة، فقد تشكى محمد عيتاني أمام أولاده وبعض الأقرباء، من عزوف الكل عن معاضدته على برد الأيام ومطر التوقعات الكابية المؤلمة. من قدامى كُتّاب بيروت ونقادها. وهو أحسن صنعا حين ناقش على نحو ما صنع. لم يقترح على الآخرين ما بدا صعبا عليه. في كل الاحوال، طبعت مسيرته البساطة الاكيدة، التي انضوت في عناوين ثقيلة. »رأس المال« واحد من الكتب التي تصدى لها محمد عيتاني. تصدى لترجمة الجزء الاول، من مجوعة كبرى. لم يكن يسيرا ان تترجم كتابا بهذه القسوة وذاك المعنى، وفي ظروف تظهرت فيها السياسة وكأنها مرض خبيث نشر في لبنان للنيل من اللبنانيين. أراد الرجل المربوع القامة ان يمنح جزءا من اللبنانيين فرصة أكبر للوقوع على بعض الافكار الكبرى في العالم والكليات الفكرية. لم تخنقه حكايات شبح ماركس او موت لينين، وهو يقود الاتحاد السوفياتي الى ستالين المنتظر فرصة بين هلالين عريضين او رفيعين، لكي يمتلك حكما نبذه وضحك عليه القيمون عليه. ولكن مثل هذه الممارسات، لها ان تفتح فجوة في مقابل

نوايا الاتصال من قبل المترجم. رأس المال في بيروت. هذه حكاية بحد ذاتها. وترجمته قضية بحد ذاتها. لا استهول هنا، قدر ما أشير الى الظروف الاستثنائية التي تكون فيها محمد عيتاني، وما حاول ان يكونه عيتاني لن يُحسب على العياتنة بأي حال من الاحوال، وفي اي ظرف من الظروف إثر ذلك. ديك صواعق لم يكن محمد عيتاني جامع تناقضات. هو ديك صواعق، يأخذ الصواعق عن الآخرين، ويدور على نفسه من قوة الصاعقة عليه. لم يصرّح بذلك أبدا. ولم يقل كلاما إعلاميا او استعراضيا فيه. ولعل اختيار الترجمة، لم يكن اعتباطيا. فالترجمة واسطة بين قارئ يجيد اللغة وآخر لا يجيدها. والبيروتي وسيط بامتياز. هكذا عرف في مرحلة اكثر مما ينبغي. وعرف في مرحلة لاحقة ما يقيم حياة كاملة، لا بد من مغادرتها الى استمرار الحياة في حياة ثانية. كان معرضا للمبالغة في تقدير الاختلافات. ولكنه لم يفعل. ولم يتسل اطلاقا. طالما ان لامنهجيته شكلت منهجية خاصة به، انمزجت بالبسمة المستديمة. مما شكل كلفة اضافية. هكذا ظننا. وحده لم يفعل ذلك قسرا او إحسانا، حين بنت البسمة جزءا أساسا من طلته المرحبة بالآخرين، حتى وهو يزورهم في بيوتهم او مكاتبهم. علم أخلاق او اتجاه أخلاقي يفترض شراكة مبكرة بين القاصد والمقصود؟ انه سلوك يحمل على التعاطي مع كل القضايا من دون عقد وليس بخفة.

والعيتاني الذي لم يوارب في مشيئته الحرة بين الضروب والاصناف والمسالك، اقتيد بيد خفية الى صورة نقيضة لهواه وهوسه وحياته الفعلية. لقد وضع في صورة المثقف المغضوب عليه من المؤسسة السياسية وفي بروازها. براوز من خشب عتيق بارد، مصنوع من مخيلة صانعيه وليس من الخشب الاصلي. وضعه في هذه الصورة النمطية لم يزعجه ولم يحمله الى محاربتها او الانضواء فيها او الانطواء عليها في طرق الاستجداء على أي صعيد. الصورة النمطية لم تقدر على كرمه. استدان كثيرا لأنه صرف كثيرا. ولأنه عال عائلة وهو في جهنم الفاقة التي ضربته في سنواته الاخيرة. فقير. هذا صحيح. لأنه لم يجمع مالا. ليس في حياته ما يدعو الى التفكر بأن رجلا من هذا المعدن اللطيف الطيب المندفع، سوف يجمع أموالا تخوله مواقع اجتماعية متقدمة. صاحب القامة المربوعة ركز على الماركسية، من زاوية انها صراع بين طبقات. طبقة تستغل طبقة، أمام المحاربين الماركسيين الاشاوس. سوى عند محمد عيتاني، الذي وجد ان أفضل الطرق الى إنهاء الصراع الطبقي، هو في إنهائه بالتكفل بإطعام عائلة، وهو في عز الفقر والحاجة. علاّقة الشيوعيين لم يكن كالأمير علاّقة الذي أدرك الغنى بعد الفقر، فنقش قطعة نقود باسمه، خط عليها جملته الشهيرة: عز بعد فاقة الأمير علاّقة. اثر وفاته بوقت قليل، فتحت أم حسن زوجته البيروتية الباب، مجيبة على قرع ملحّ. وجدت سائلا يسأل عن محمد

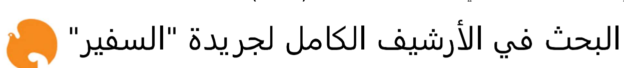
عيتاني. لم يكن يدري انه مات. وحين استوضحته الزوجة الحزينة عن من يكون، أجاب بأن محمد عيتاني خصه شهريا بمبلغ من المال له ولعائلته. وحين تأخر عليه جاء يسأل عنه. أدركت الزوجة السائل قبل ان يكمل. البقية بحياتك، قال، قبل ان يبكي وهو يغادر عتبة رُفع جسد محمد عيتاني فوقها محمولا الى مثواه الاخير. هاوي أذان ولد محمد عيتاني في العام 1926 في منطقة رأس بيروت. ولد في عائلة يقودها أب فران يعمل على عجينه لكي يطعم الناس خبزا. أليس هذا مختصرا لحياة محمد عيتاني. حسن عيتاني الوالد خباز. ولكنه مؤذن في أوقات الفراغ. فكلما تسنت له فرصة من العمل في الفرن، فرغها للأذان. صاحب صوت جميل إذاً. ولو ان أحدا لا يؤكد هذه الواقعة. حتى صوت محمد عيتاني ينفيها. فالرجل الطيب لم يكتب جملة واحدة بصوته، حين ألف الكثير بيديه. وبعض ما تركه يعتد به، ويصلح تراثا لبلاد لا تُخضع أمورها وشؤونها لأحوال العلاقات العامة والترويج والترتيب والتلفيق. الوالد هاوي أذان والوالدة فلاحة. ولطالما عرف الاولاد من والدهم ان والدته صاحبة شخصية قوية. انها في البيت أقوى من الأب بمعنى واضح وصريح. أب شبه متبطل يمزّ كسله بين دفعة عمل في الفرن وأذان في أوقات الصلوات الخمس وأم فلاحة من آل الداعوق. فلاحة في بيروت ليست فلاحة بالمعنى الذي وصفته كتب الماركسية. حيث ان بيروت بقيت مدينة زرع ومساكب، قبل ان تنالها صورتها الحديثة ابتداء من منتصف الاربعينات. أم تزرع بيدها مساكب البصل والبقدونس والبندورة على صدى صوت الوالد في المئذنة العالية القريبة. صورة رومانسية، ولكنها غير مركبة. صورة من صور بيروت القديمة الثرية بأشكال علاقاتها، والضحلة في آن. خلّفت العائلة إبنا شقيا ميالا الى اكتشاف الحياة بالممارسة. الحياة عنده ليست دراما وليست مسألة أخلاقيات مقررة. طرح جديد في وسط أسلاك الحياة الاجتماعية السائدة في ذلك الزمان. لم يظن وهو يبحث ويلهو ان المدى الانفعالي والحقيقة الواقعية للحياة تحد وتقيد من طرق النظم. طاب له ان ينظم دراماه بشروطه. نثر لذلك ما استطاعه في سلم مقامي ولكنه غير نغمي. راسل الواقع على طريقته الخاصة، وهو ينضوي في مؤسساته واحدة واحدة في طريق الخروج منها وعليها. فقد باشر دراسته في بيروت بالمدرسة الازهرية التابعة لأزهر لبنان المؤسسة الدينية القديمة. نوع من المدرسة الخيرية لأولاد السنة الفقراء. ثم نقل الى المقاصد، حيث تدرج في صفوفها صفا صفا، قبل ان يصل الى الجامعة الاميركية، حيث قيض له ان يدرس التجارة لمدة سنتين فقط لا غير، ترك بعدها الجامعة الى خياراته الخاصة وأموره الاكثر خصوصية. لم يعرف أحد بالتمام كيفية وصوله الى الجامعة الاميركية. ولكنه وصل. البعض يعتبر الوصول الى هذه الجامعة، نتيجة للعيش الحكمي

الذي خاض فيه محمد العيتاني في طفولته ومراهقته وبدايات شبابه. فهو ابن العائلة التي احتوت تداخلات على صعيد العلاقات. أم فلاحة وأب فران ولكنه إبن مدينة، إبن أشكال مدينية. تداخل أسروي في مساحة بقيت في منأى عن التطورات الجارية في المناطق القريبة الاخرى. حيّهم في المدينة وبعيد عنها في آن. راحت المدينة تقربه شيئا فشيئا وسط خوف وذعر سكانه. فشارع الحمراء بقي حيا صغيرا مفصولا عن الداخل الديني المؤلف من الناصرة ورأس النبع ومنطقة الثكنات والاشرفية، حتى مرحلة ماضية قريبة. أهلوه فلاحون وصيادو سمك. يزرعون الارض ويأكلون ما يزرعون ويصطادون السمك. ناسه واقعون بين نارين، بين مصدرين ثقافيين. ثقافتهم المحصلة من علاقة بالاتراك استمرت لمدة خمسمئة سنة. وثقافة فرنسية تقترب منه وإليه من خلال اقتراب المناطق الاخرى من منطقة الحمراء بتعبير أحق. كل هذا موجود في كتابات محمد عيتاني القصصية والروائية وفي لغته التي تراوح بين لغتين. لغة أقرب الى الشفاهي. وأخرى لا ترصد حضورها الا عبر مصافي الأدب. كل كتابات محمد عيتاني تقوم على هذا التناقض بين حياة أهله الفلاحين البسطاء واقتراب المدينة منهم، بلغة هجاء ساخرة لا تخلو من رومانسية طبعت شخصه حتى في لحظاته الصعبة. لم يكن هناك من فواصل كبيرة بين العائلات في المناطق البيروتية كافة في تلك الآونة. إذ شدتهم روابط لم تلغ الاختلافات والفروقات. كما شدتهم علاقات قرابة لم تمح الصور الشخصية لأفراد هذه العائلة او تلك. عائلات تذهب من الحمراء الى رأس النبع وعائلات تذهب من الناصرة الى الحمراء. وعائلات تجد في هذا المكان حاجتها وأخرى تجد في المكان الآخر معبرها الى تكوين جديد ينقض تكوينها الاساس وقد يهدده. حال من أحوال الوفرة الاجتماعية الثقافية، بعيدا من إدراك ذلك. بدا أهل الحمراء وسط هذه الوقائع وكأنهم عند شاطئ عثملي تهدده موجة عاتية فرنسية. خافوا من التغريب دون ان يدركوا معنى الكلمة هذه. وخافوا من الاندماج في الحضارة الغربية المستجدة على أهل بيروت، بعد ان وجدوا أنفسهم في قلب التقاليد التي أوجدها الأتراك وغرسوها في قسم كبير من البيارتة، بيارتة الهوامش بالاخص. كل هذا موجود في »أشياء لا تموت« واحد من أجمل كتب الحكايات البيروتية، حيث اللغة لا تقارع الحكاية وحيث الحكاية لا تقارع اللغة. وحيث لا يهادن الاثنان بعضهما بعضا. في الحكايات هذه، تأريخ وجغرافيا وعلم نفس وأصول وقضايا مختلفة من دون قصد. دفَقان لا يحمل على الخوف من السباحة في مياهه.. لذلك اقتُبست »أشياء لا تموت« للاذاعة أكثر. ولم تُطرح على المسرح. وحده يعقوب الشدراوي مسرحَ حكاية من حكايات الكتاب، وجدها من شاهدها فوق خشبة مسرح المركز الثقافي الروسي، عذبة وسيالة وداعية الى امتلاكها كحكاية

مروية أكثر من أي شيء آخر. كل هذا موجود في »تحت حوافر الخيل« و »موظفون من جنسية قيد الدرس« و »حبيبتي تنام على سرير من ذهب«. الأورغانون الصغير لو لم يترجم محمد عيتاني »الاورغانون الصغير« لتأخر وصول بريشت، المسرحي الالماني الشهير، الى خشبات مسارحنا. مفهومية بريشت، حياته العملية في هذا الكتاب الصغير. ربما صح فيه انه كتيب. ولكنه أكبر من ذلك بكثير. شابت ترجمة محمد عيتاني صعوبات. الا أننا خلصنا في النهاية، الى نظرية، استوطنت مسرحنا وعقولنا ولا تزال. اختيارات معقلنة لم تغطِ ما عاشه الفتى في مرحلة مراهقته الصاخبة. يقول أحد أولاده في تصريح خاص بنا، ان محمد عيتاني غرف من العلاقات الغرامية الكثير. قيل فيه انه »جيغولو«، من كثرة ما تطلع ونظر وأحب وأُحب، ولكنه تزوج وفيقة رمضان عن حب. أحبها قبل ان يتزوجها. وحين تزوجها تحولت علاقاته القديمة الى ضواحيه. لا حرية ولا قيد في مثل هذه الحالات، بل مفاجآت لطيفة بالمعيارين. معيار الابيض ومعيار الاسود. ابنة عائلة بيروتية مالكة، حين التقاها محمد عيتاني، انما التقاها في مرحلة انحدار عائلتها على الصعيد الاقتصادي. كل ما امتلكته عائلتها خسرته، ثم تحولت بقايا أملاكها الى صكوك ورقية وأوراق أسهم في سوليدير. زوجته اهتمت بشؤونه. تابعت كل ما يمت الى العائلة بصلة. ولكنهما في أصليهما المختلفين، هي من بيئتها الارستقراطية وهو من بيئته الشعبية الفلاحية، خلقا هوامش للأولاد. هي صارمة وهو داع الى أخذ الاولاد حريتهم كما يشاؤون. لا سؤال ولا جواب. السيدة رمضان متشددة كثيرا. وهو متسامح كثيرا، ولن يخشى أحد أولاده من وصف تسامحه بالتسيب. إبنه هذا، قال انه لم يتعرف على أبيه في سنواته الأولى بسبب انشغالاته. زيارات وسفر وعمل في اتحاد الكتاب اللبنانيين. دفعه ذلك الى رصده وقنصه في لحظات بيتية نادرة، نال منها ان رآه ينزل كتبه من مكتبته، ويتركها على الارض، لكي يرتبها من يأتي بعده. يبحث عن كتاب، يجده أو لا يجده، فيترك الكتب الاخرى أكواما على الارض في غرفة الجلوس. انه فوضوي. فوضوي دائما، قادته فوضويته وقناعاته الشخصية الى خلاف مع الحزب الشيوعي اللبناني، على الكثير من القضايا. ذلك انه لم يكن من مؤيدي المدارس النظرية. عنده ماركسه الخاص ولينينه الخاص. وهذا »سلوك لم يهضمه الحزب. كما لم يهضم ان يقول محمد عيتاني ان هناك فروقا كبيرة بين الحزب وبين الحزبيين. وان لا يتعاطى مع الحزبيين بوصفهم الحزب وحدهم. بقيت علاقاته ممتازة بقيادة الحزب، من دون ان يعتبرهم الحزب«، على ما يقول حسام إبنه، زميلنا في »السفير«. فكرته عن الحزب أكبر وأكثر تجريدا. ثم ان الحرب كسرت طراوته وطزاجته وحركته الطفلية. الحرب مأساته، مأساة كبيرة عاشها. رفضها

من منطلقات شخصية وأخرى موضوعية. أحزنته كثيرا الاحوال التي آلت إليها البلاد. دُمرت البلاد فاعتبر ذلك عبثا خالصا. عندها اشتدت أزمته على صعيد علاقته بالحرب وترك عمله في وكالة نوفوستي. الحرب كان في الخمسين حين اندلعت الحرب الاهلية في لبنان. عمر لا يسمح بالانخراط، قدر ما يحيل الى حكمة لم يجدها من قرأ قصصه في بناها، وخصوصا القراء الاكاديميين الذين وجدوا في هذه القصة أو تلك طلعات ونزلات وجملا اعتراضية ونطنطة بين الافكار. جملة عناصر يستعملها لكي يصل الى حدود ما يريد. فوضاه الجميلة هذه، بدت قرينة فوضى حياته. بيد انه انكسر تحت وطأة الحرب. آلاف الشباب يقتلون او يشوهون، قرى تحترق ومدن تهتز وأفكار تندحر وأبنية منخورة بالقذائف حتى أمست شبيهة بالجبنة الفرنسية. أصابت صواريخ الكاتيوشا، البناية التي سكن إحدى شققها في منطقة تلة الخياط، بالقرب من تلفزيون لبنان القناة 7. اضطر إثرها ان يغادر الى بيت قريب لإبن أخته. لأنه لم يرد ان يغادر بيروت. لم يغادرها، حتى في خلال الاجتياح الاسرائيلي. بقي في منزله ولم يغادر، على الرغم من حال الاكتئاب الشديدة، التي احتلت روحه. عاش ازمة نفسية خانقة بين العامين 1977 و1978. بدأ يتغير منذ ذلك الحين. لم يعد ذلك الفتى المربوع القامة، الضاحك دائما. بدل ضحكه بصمت ساعات طويلة في اليوم الواحد. في تلك الفترة أحس بنوع من التخلي، في تلك الفترة توقف عن الكتابة. توقف عن الكتابة ابتداء من العام 1975، وأكد ذلك في العام 1977، حين انصرف الى الترجمة والى العمل في الصحف، لكي يكسب ما يقيت العائلة. اما الحدث المخيف في حياته، فقد تزامن مع فترة سحق لكل شيء في لبنان. حسن بكره غرق في العام 1979، وهو يسبح. ابن الـ17 سنة أخذه البحر ولم يعده الا جثة هامدة. الدراما تجنح الى ما لا يمكن احتماله. عندها لم يبق لديه اي شيء الا بضع أفكار ثابتة وبخاصة قرابة نهاية حياته. الخبرة الخاصة لم تعد مادة خاما، أضحت واقعا معجونا بأفكار الدمار. أخذه حسن الى الموت قبل ان يأخذه اي شيء آخر. وأخذته بيروت الى الموت، حين تعرضت الى الموت في العام 1982. موت الابن وموت المدينة، تكالبا عليه، كما تكالبت عليه ظروف اخرى. أصبح وضعه المادي مستحيلا. شوهد وقتها يدور في مكاتب هذه الصحيفة وتلك، وهو يوزع مقالاته المكتوبة عن حدث من أحداث قليلة او شريط غنائي للأطفال. لقد أحب شرائط الاطفال كثيرا وواظب على سماع الأغاني الخاصة بهم. ويروي حسام إبنه، انه بقي يسمع أغنية من أغنيات شريط »حكايا« (أنا الشب الاشبهي، كلمات عبيدو باشا، تلحين زياد الرحباني) بواسطة آلة تسجيل صغيرة، حتى أواخر أيامه. وقع اتفاق ترجمة مع »دار الآداب« أواخر العام 1983، أضحى عبره شبه متفرغ لترجمة إصدارات الدار الاجنبية،

مما حسن وضعه المادي قليلا، الا ان اوضاعه النفسية بقيت تتراجع حتى أصيب بالسكتة القلبية في ليلة مدلهمة من ليالي بيروت القاسية. عبر عن تأزم حاله بالبكاء. أحس ان أبواب العالم أغلقت في وجهه. ولولا البناية التي بادلها والده هاوي الأذان بقطعة أرض كان يملكها في منطقة الحمراء، لبقي محمد من دون سكن. أخذ منها ما يكفيه. شقة بصالون وغرفة جلوس وغرفتي نوم. باع الجد الارض، او بادلها بالبناية، في الوقت الذي راح فيه شارع الحمراء يتحول الى مركز تجاري وثقافي. محلات وصالات عرض ودور سينما وعدد كبير من المقاهي. والرواد أشكال وألوان. في أوائل الخمسينيات، جاء واحد من آل مكرزل عارضا المبادلة. انبهر والد محمد عيتاني بالبناية المؤلفة من طوابق فوق طوابق، حين لم يكن ذلك دارجا في بيروت بعد. أخذها وتركها للأولاد من دون فرز او ترتيب. لم يتأثر محمد عيتاني بذلك. لم تهمه الارض في الحمراء ولا البناية. سكن في ما شكل حاجته في الاقامة، وترك الامور تجري على الطبيعة. ذات يوم جاء أفراد من مخفر المصيطبة طالبين محمد العيتاني الى المخفر. ذهب ولده فداء بدلا منه. هناك سُلم هوية والده، التي وجدها أحدهم في أحد الامكنة فسلمها الى المخفر. حرروا بيانا بالأمر وسلموا الهوية الى ولده الذي لم يدرِ حتى الآن كيف أضاع الوالد هويته والذي شك بأن الوالد قد يكون رماها في واحدة »من لحظاته العبثية السوريالية« على ما يقول حسام عيتاني. ذات يوم جاء بقطة جربة الى البيت. طلب تنظيفها وإطعامها، رفضت أم حسن. وحين اشتد النقاش بينها وبين زوجها، خيّرته بينها وبين القطة فاختار القطة. أحب القطط كثيرا. حتى انه كلما وجد قطة هائمة في الشارع أخذها وآواها. ذات يوم اتصل شخص يدعى عادل عيتاني بالعائلة.
صديق قديم، حمل كيسا نسيه محمد عيتاني عنده ذات يوم، فيه دفاتر قديمة ومجموعة من القصص، فوضوي دائما، لم يسعَ الى مجد زائف. هكذا هو. وهكذا بقي، ديك الصواعق البيروتية. أواخر العام 1978، أصيب باستسلام قدري كامل، بعدما تحطمت أحلامه وآماله. 19 آذار 1988 داهمته النوبة القلبية. لم يكن يعاني من شيء على هذا الصعيد. لقد عانى من مرض السكري ومن قرحة ممضة. أحس بألم في صدره، لم يمهله. مات في لحظات. مات قبل ان يصل الى المستشفى. ترك محمد عيتاني تراثا مطبوعا وغير مطبوع. الاخير ينتظر ان يطبع، لأنه يستحق. هناك القليل عند صديقه محمد دكروب. وهناك البعض في دار الفارابي. غير ذلك، ترك محمد عيتاني مكتبة، أبرز ما فيها أربعون جزءا من مجموعة لينين، وذكرى انه كلما أنزل كتب المكتبة، عاد وتركها على الارض. على الارض، بقي محمد عيتاني. الحكواتي يقتعد الارض ويروي، مات الحكواتي وبقيت الحكاية.



الكلمات الدالة

التراجم
عيتاني محمد

شروط الإستخدام

للتواصل معنا archives.assafir.com